

مندور هذا المنهج النقدي (الأيديولوجي) وهو منهج يطلب من الأديب والفنان ان يستجيبا لحاجات العصر وقيم المجتمع بطريقة تلقائية، ويمكن إبراز اهم سمات هذه الدعوة في النقد بالتأكيد على المضمون دون الشكل على الرغم من ان الواقعية، تربط ربطاً عضوياً بين الشكل والمضمون، وإبراز القيمة الكفاحية للأدب، والتأكيد على الوجه الإنساني للأدب الاشتراكي.

والمقصود بالإنسانية، السمات المشتركة التي تجمع بين البشر المعذبين، ومن ذلك الدعوة إلى شعبية الأدب، بوصفه ممارسة ثورية تقف بجانب الطبقة المكافحة وتعمل على تغيير صورتها الراهنة بما هو أفضل.

ومن ذلك أيضاً، التشدد في الاحكام النقدية، ضد التيارات المعاكسة للاتجاه الواقعي الاشتراكي على الخصوص.

هذا وقد تميز أسلوب هؤلاء النقاد بلهجة خطابية تغلب عليها المواقف الانفعالية.

ومما انطبع عليه أصحاب هذا الاتجاه الاشتراكي، تصنيفهم للأدباء على حسب ميولهم السياسية، وعلى نظرتهم المادية بصورة مباشرة.

وكذلك حكمهم على الآثار الأدبية في ظل تفسيرهم الطبقي، ويبدو هذا في نقد محمود أمين العالم وعبد العظيم أنيس وحسين مروة.

أما في ميدان المسرح فقد اقتصرت الواقعية على بعض المسرحيات التي أخذت تظهر بعد الخمسينات، ظهوراً محدوداً وما لبثت أن نشطا بعد حرب ١٩٦٧ في مصر وسوريا، خاصة في مسرح سعد الدين وهبة ونعمان عاشور وسعد الله ونوس.

Simbolism الرمزية

مفهوم الرمزية ومصطلحها:

الرمزية، مذهب أدبي، يتجه اتجاهاً مثالياً، ويتخذ فيه الغموض والإيحاء أسلوباً في التعبير، لتجسيد ما تتم عنه النفس، من أعماق، وعوالم بعيدة لا تستطيع اللغة العادية أن تفي بمحتوياتها وغوامضها والتواءاتها المعقدة.

وتجابه الدارسين مشكلة مصطلح ومفهوم الرمزية، كما جابهتم في (الرومانتيكية) حتى صار من الصعب، الوقوف بدقة على كل ملامح هذا المذهب وقوفاً دقيقاً بعد أن تشعبت مواقف الكتاب إزاءه.

فقد عدّ بعض الدارسين أن كل أدب غامض هو أدب رمزي، وزعم آخرون أن الرمزية، داء نفشى في الإنتاج الشعري الحديث، وتشاءم آخرون من أساليبه التعبيرية لما فيها من غموض وتعقيد والتواء.

وهذا الاضطراب حيال إدراك جوهر الرمزية، لا يرجع إلى عدم وضوحه عند الدارسين حسب، بل يرجع أيضاً إلى تباين التعريفات الشعرية عند الرمزيين.

فبينما يعنى (بودلير) بمشكلة العلاقات، بين الإنسان وبين الكون، والانطلاق إلى ما وراء المحدود، والمنظور وفكرة الخير والشر، يتوخى (رامبو) الصور التي تتداعى في النفس الإنسانية، في حين يستهدف (ملارمييه) المطلق، فيعمد إلى ترويض اللغة، وإخضاعها لأداء ما لا تعبر عنه.

وإذا كان بعض الكتاب، يضيّقون من الرمز، لما فيه من تعقيد وغموض والتواء، فأن آخرين يرونه (واحداً من الأيجابات المحببة في عصرنا فالرمز كلمة السر أو المفتاح المسحور، الذي يفتح كل الأبواب، ويجب على كل التساؤلات، وفي الرمزية يجد فكرنا مستراحاً له، العلم الرمزي والفن الرمزي وحتى الدين الرمزي، وللرمز مفهومان:

أولهما:- هو إنابة شيء عن شيء آخر، أو يوحي بشيء آخر.

وثانيهما:- أن الرمز تفاعل بين شيئين، أحدهما ظاهر، والآخر خفي

وقد أوضح أحد الدارسين ماهيته بقوله (أن الأدب الرمزي، هو ذلك الأدب الذي يقرأه القارئ العادي فلا يفهم منه إلا ظاهره، أما القارئ المتأمل فيفهم منه هذا الظاهر، ولكنه لا يقف عنده، بل هو لا يكاد يمضي في القطعة الأدبية الرمزية حتى يبهره ما تحت سطحها ومن أعاجيب لبابه أنه يتخيل بصور مختلفة في ذهن القارئ، المتأمل، صور تتفاوت في مقدار ما فيها من الجمال والمعاني والأهداف والأعجب من هذا أن قارئاً متأملاً آخر، قد تتخيل له صورة ذهنية جديدة غير التي مرت بذهن القارئ المتأمل الأول ... وهكذا.

هذا وقد أولت المصادر العربية القديمة عنايتها بهذا المدلول عناية بالغة فقد جاء عند صاحب لسان العرب، أن الرمز (تصويت خفي باللسان كالهمس ويكون بتحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ، من غير إبانة صوت، إنما هو إشارة بالشفيتين، وقصر بعضهم الرمز على الشفتين خاصة، ووسعها آخرون، إذ رأوها بالشفيتين أو العينين، أو الحاجبين.

وهذا يدل على أن الإشارة، أو (الرمز) طريق الدلالة، فقد تصحب الكلام، فتساعده على البيان والإفصاح؛ لأنه حسن الإشارة باليد أو الرأس، من تمام حسن البيان، وقد أورد الجاحظ قول الشاعر بهذا الصدد:-

أشارت بطرف العين خيفة أهلها إشارة مذعور ولم تتكلم

فأيقنت أن الطرف قد قال مرحبا وأهلا وسهلا بالحبیب المقيم

والأدب العربي من أغنى الآداب العالمية بالأدب الرمزي، وكتبنا الدينية من أروع الكتب التي تزخر بأدب رمزي لا نظير له، وكتبنا الأدبية كألف ليلة وليلة ورسالة الغفران للمعري وحي بن يقظان والمقامات، بها من الصور الرمزية ما يعد أدباً فذاً في بابه، كما أن أدب المتصوفة حافل هو أيضاً بالرموز.

أما عند الغربيين فأن اشتقاق الكلمة قديم قدم أصولها الأولى، فهي مشتقة من فعل يوناني يعني اشتراك شيئين في مجرى واحد، وتوحيدهما. وهذان الشيئان هما: الرمز ومعناه، أي الرامز والمرموز وللکلمة عند الرمزيين دور مهم، إذ ينسب لها في ذاتها قيمة خاصة موسيقية ومستحضرة تضاف إلى قيمة الكلمة.

ويرى (كارل يانج) أن الرمز يستمد من الشعور واللاشعور ممتزجين. وربما كان (جوته) أول من حدد بطريقة أدبية وحديثة مفهوم الرمز عام ١٨٩٧، إذ يرى الرمز على أنه امتزاج للذات بالموضوع والفنان بالطبيعة وهذه النظرة تربط الرمز بالنزعة المثالية التي ترد العالم الخارجي إلى رموز الشاعر وترى ان الطبيعة مرآة للشاعر ، وظاهرة ينفذ منها إلى قيم ذاتية وروحية .

ويؤسس (كولردج) فكرته عن الرمز على نظريته في التفرقة بين الخيال والوهم .
والحق أن آراء (جوته وكولردج وكانت) يمكن عدها محاولات رائدة لأنها مهدت لفلسفة الرمز الإيحائية ، كما قررها الرمزيون ، وذلك لأنها اعتمدت جميعا على

النزعة المثالية التي تنظر إلى الكون من خلال عدسة الذات ، وترى الطبيعة رموزاً لحالات النفس الشاعرة وقد كانت تلك محاولات تمهيدية للرمز الأدبي الذي أفاد منه المحدثون.

ومنها يكن مستوى النظريات التي مهدت للرمزية المذهبية الحديثة ، فان أي تحديد لمفهوم الرمز يجب ألا يهمل المستويين : مستوى الصياغة الفنية والقال الرمزي ومستوى الإيحاء الناجم عن تشابه الوقع النفسي.

وفي رأينا أن خير من يعرف الرمزية ، ويوقفنا على ماهيتها ، هم روادها وأقطابها الذين اغنوا المذهب بأفكارهم وثقافتهم .

وفي مقدمة (هؤلاء ملارميه) زعيم الرمزية دون منازع ، والذي تأمل الأشياء ، وصورة تتصاعد مع الأحلام ، والأحلام تنيرها ، وهي أخذك الشيء وإظهاره تحت نقاب من الغرابة والوهم ، فيستتب استدراجاً بواسطة الإيحاء .

ليست الرمزية ردة فعل بوجه الواقعية والطبيعية حسب ، بل هي ثورة على (البرناسية) التي أفرطت في الوضوح والتي اتخذت من التجسيم أو النحت هدفاً أساسياً للشعر بحيث يأتي الوصف تجسماً للموصوف محيطاً بكافة أو صافه وخصائصه الخارجية المميزة وكأنه يتخذه تمثالاً.

ممهدات نشأة الرمزية

_ ولقد جعل بعض الكتاب من وليم شكسبير (١٥٦٤ - ١٦١٦) عاملاً مهماً من العوامل التي مهدت للمذهب الرمزي؛ وذلك للرموز الكثيرة التي استعملت في رواياته، ولا سيما مسرحية (مكبث) التي تعد نموذجاً أدبياً مليئاً بالرموز والإشارات الإنسانية والكونية، المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالإنسان.

_ وربما كان تأثير جوته أكثر من تأثير شكسبير في هذا الميدان، وذلك بسبب تشبع نفسه وروحه بالقيم الدينية التي تربي عليها، والتي كان من نتائجها أن ابتكر رموزاً دينية رائعة، تجلت في مسرحيته الشهيرة (فاوست).

وقد حمل (الديوان الشرقي)، الذي كتبت قصائده بوحى من الآداب الشرقية ولا سيما أدب الحب العذري العربي، وأدب الصوفيين العرب والمسلمين، طابعاً رمزياً واضحاً.

_ على أننا لا يجب أن نهمل انتشار الرمز في آداب العصور الوسطى الأوروبية كما أن روائع الواقعية ممثلة في أعمال تولستوي وفلوبير وبلزاك وديكنز، تستخدم الرموز استخداماً بارزاً في كثير من الأحيان.

تلك كانت الممهدات الأولى والعوامل غير المباشرة، التي رأيناها تنطلق من العصور الأوروبية القديمة، ممثلة في مثالية أفلاطون، وتمرّ عبر العصور الوسطى، فيما وجد فيه من رموز ، وتنتهي بعصر النهضة وبعد عند شكسبير وكانت وبليك وجوته وشوبنهاور وهيجل وأوسكار وايلد.

غير أن تلك العوامل، لم تكن سوى ممهدات، فتحت الطريق أمام المذهب الرمزي، ومهدت له بما يجعله يقوم على خلفية واضحة، وأرضية قوية، ينطلق منها إلى إرساء خصائصه المذهبية الكثيرة.

وفي شعر (ت .س. أليوت ١٨٨٨ - ١٩٦٤) وجدت الرمزية لسانها الإنجليزي المعبر ويتميز أليوت من غيره ممن تأثروا بالرمزية في انه لم يخضع فيها لصيغة مذهبية جامدة كما لم يستمدّها من طريق واحد ؛ فقد قرأ لآرثر سيمون وأعجب ببودلير ولافروج وقد نتج عن تأثره ببودلير قصيدته الشهيرة (الأرض الخراب) التي صارت معلمة في ميدان الشعر الرمزي الحديث .

وفي أمريكا ، يتألق مجموعة من الشعراء الذين اتجهوا الى الرمزية . غير ان الرمزية في الشعر الأمريكي جاءت متأخرة عن سواها من الأقطار الأوروبية.

أما انتشار الرمزية في ايطاليا فقد كان ضئيلاً فيما يبدو، وربما كانت الرمزية في اسبانيا أهم من ايطاليا ، هذا ولم يتفق الدارسون حول الفترة التي عاشتها الرمزية ، ففي الوقت الذي يحددها بعضهم بأربعين سنة . ظلت فيها مهيمنة على الأدب الفرنسي (١٨٨٠ - ١٩٢٠) يراها بعضهم الآخر تمر بمرحلتين ، تنتهي أولاهما عام ١٨٩٠ ، وفيها بلغت الرمزية ، أقصى غاياتها .

أما المرحلة الثانية فتبدأ عام ١٨٩٠ وفيها تخلت الرمزية عن بعض مبادئها ووسائلها وغاياتها ، وعمدت إلى الأشكال السابقة للرمزية من كلاسيكية ، ورومانتيكية ،

وواقعية . كما عمدت إلى ابتكار أشكال جديدة من ناحية أخرى ، كالتعبيرية والسيرالية .

ومهما يكن فإن الرمزية لم تمت ، ولكنها لم تظل على الصورة المثالية التي أرادها لها ملارميه.

خصائص الرمزية :

ليس هناك مذهب أدبي مثل الرمزية ، ازدحمت فيه الخصائص - وخصوصا الشكلية منها - وربما يعود السبب إلى أن الرمزيين ، عنوا عناية فائقة بآثار الشكل الفني ، وما ينجم عنه من أفكار تكاد هي الأخرى تختلف اختلافا بينا عن الأفكار التي تنجم عن القصيدة في المذاهب الأخرى .

١- تعد اللغة من أهم عناصر العملية الإبداعية في الشعر الرمزي ، ذلك ان الرمزيين نظروا إليها نظرة خاصة دقيقة وعميقة ، بل هم فلسفوها من اجل أن يحققوا بها أداء خاصا هو البوح بما تختلج به الذات .

لقد رأى الرمزيون ، أن الألفاظ العادية مثقلة بمعانيها المادية ما جعلها تعبر عن الجانب الواضح والمباشر من الفكر والشعور ، ولذلك فهي عاجزة عن تحقيق القوة الإيحائية لأنها ليست من خاصتها التعبيرية المعنوية .

كذلك لا تستطيع اللغة العادية ، أيقاظ الشعور الذي تحققه الموسيقى ، إلا بواسطة تآلف لفظي موقع . ليس من شأنه التصوير والدقة ، كما في الأدب البرناسي ، بل مبهم يعبر عن ظلال النفس .

فالشعر ليس تصوير الحقيقة والواقع ونقلهما ، وإنما هو حالة نفسية تبدأ وتستيقظ حيث ينتهي تقليد الواقع ونقله. ولذلك فأن هذا الهدف لا يتحقق إلا بوضع هالة من الغرابة حول الحقيقة.

ومن هنا اصطبغ شعرهم بالإيحاء والإبهام ، وانتهى في كثير من الأحيان إلى الغموض والتعقيد